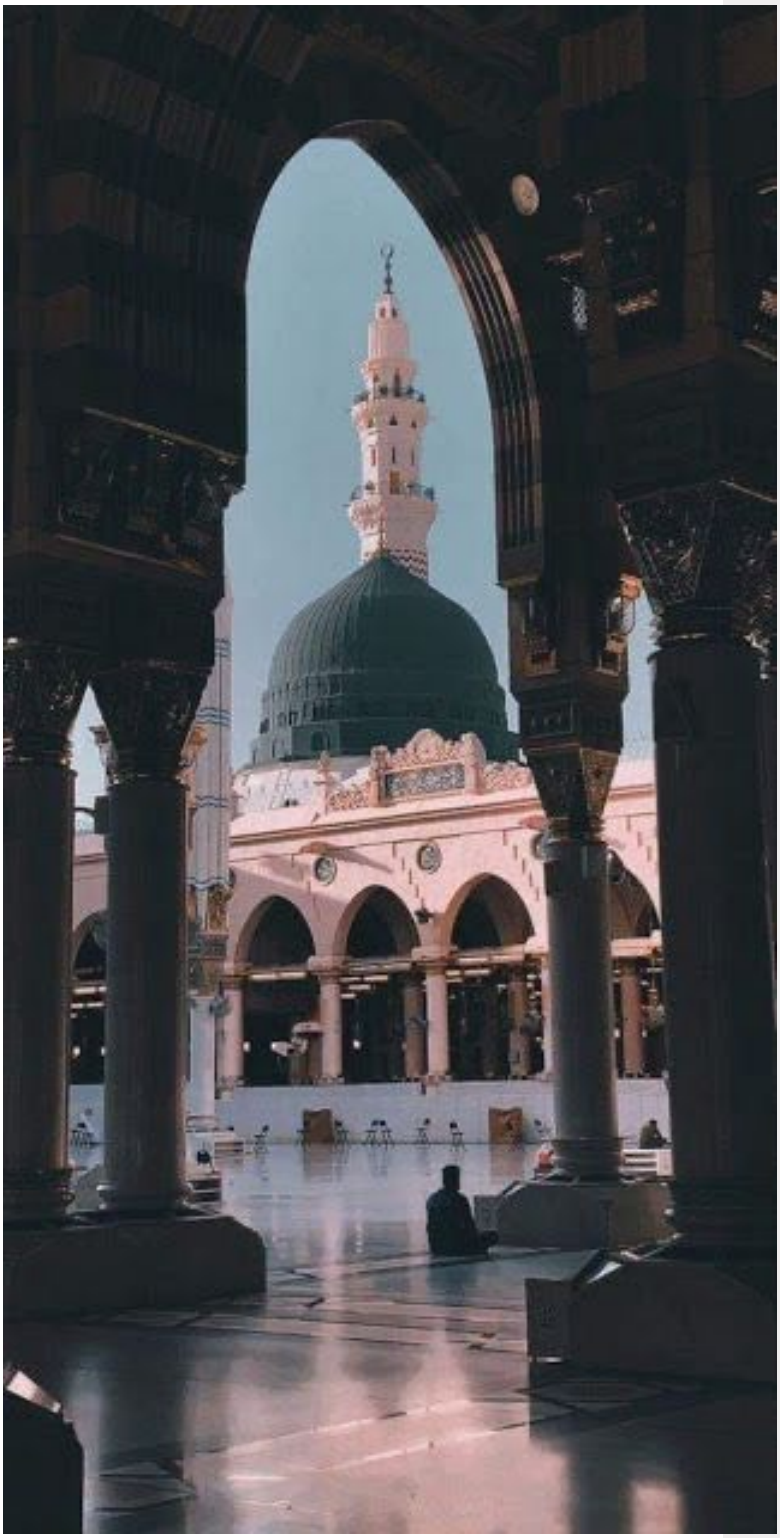

تفريغ محاضرة

كان خلقه القرآن

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٦/ ٣/ ١٤٤٢هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةُ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

كان خلقه القرآن

بسم الله الرحمن الرحيـم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله, أما بعد:

تخفي المحن في طياتها منحا، فمن المنح التي تعيشها أمة الإسلام في الآونة الأخيرة اقترابها أكثر من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما حصل من أحداث زاد شوق الأمة لنبيها -صلى الله عليه وسلم-.

حين يقوم أفراد باستبدال منتج بآخر ومقاطعة مكان معين، كل هذا يستحث فيهم البحث والاهتمام أكثر بسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وسنته.

إن من أهم ما نعرفه عن رسولنا -صلى الله عليه وسلم - علو أخلاقه وسمو تعامله، وقد مر بنا كثيرا قصص من هديه في تعامله، كرمه وشجاعته، متى يعفو ومتى يؤاخذ بالجريرة، رحمته بأمته -صلى الله عليه وسلم-.

وحين سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق الرسول الكريم اختصرتها بهذه الكلمات:

"كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح]"،

حين تقرأ أمة الإسلام كتاب الله تعالى تمر بهم آيات الدعوة لمكارم الأخلاق **فتعلم أمة الإسلام علم اليقين أن رسولها الكريم كان له منها النصيب الأكبر**

تعالوا نسلط الضوء اليوم على هديه -صلى الله عليه وسلم -في مواطن الخلاف والنزاع ومواقف سوء الظن أو سوء الفهم مع من يحب. فقد يكون الموقف واقعا مع شخص شهد بدرا، أو من المهاجرين أو الأنصار أو إحدى أزاوجه -رضوان الله عليهم أجمعين-

لمَ نسلط الضوء على هذه المواقف بالذات؟

ذلك أنه من السهولة بمكان إظهار أخلاقنا للأباعد فيرون منا جانبا جيدا، الجانب الذي باستطاعتنا إظهاره بالشكل المطلوب .

ولكن حين تقع الخلافات والنزاعات مع من نحب وفي دائرتنا القريبة لن يظهر منا إلا معدننا وحقيقتنا في استجابتنا لتلك الخلافات وتعاملنا في النزاعات، ولأجل هذا تعالوا بنا لتلك المواطن وكيف عاشها نبينا صلى الله عليه وسلم.

الموقف الأول: بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأنصار

ثلاثة عشر عاما في ذلك الوادي يتسللون على خفية واستحياء ليؤمنوا به -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم يحاولون الفرار مهاجرين في أصعب الظروف وأقساها، وظهرت خيوط الانفراج عندما حصلت بيعة العقبة الأولى والثانية التي كان نقباؤها من الأنصار.

أما الأنصار فهم من آوى ووفى لرسول الله بأكثر من هذه البيعة، بايعوه على نصرته وحمايته فوفوا بها، وتشهد لهم مواقفهم في بدر وأحد وسواها، فكانت دارهم للنبي نعم الدار، وعرضوا عليه جوارهم فكان نعم الجوار، ووضعوا أموالهم وأرواحهم بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

ثم قالوا له: "يا رسول الله خذ من أموالنا ما شئت ودع منها ما شئت وما أخذت منها أحب إلينا مما تركت"، هم هؤلاء الذين وضعوا سيوفهم وأسلحتهم بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام:

" خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وسَلمَ إِلَى بَدْرٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَوْنَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنَا أَنَّهُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَوْنَ؟ فَقَالَ عُمَرُ مِثْلَ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: إِيَّانَا تُرِيدُ، فَوَالَّذِي أَكْرَمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا سَلَكْتُهَا قَطُّ، وَلاَ لِي بِهَا عِلْمٌ، وَلَئِنْ سِرْتَ حَتَّى تَاتِيَ بَرْكَ الْغِمَادِ مِنْ ذِي يَمَنٍ لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ، وَلاَ نَكُونُ كَالَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّك فَقَاتِلاَ، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُتَّبِعُونَ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَأَحْدَثَ اللهُ إِلَيْك غَيْرَهُ، فَانْظُرَ الَّذِي أَحْدَثَ اللهُ إِلَيْكَ فَامْضِ لَهُ، فَصِلْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ، وَاقْطَعْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ، وَسَالِمْ مَنْ شِئْتَ، وَعَادِ مَنْ شِئْتَ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ .." [أخرجه ابن أبي شيبة، وقال أحمد شاكر: صحيح]

هم الذين قاتلوا مع النبي في بدر وأحد وحوصروا في مدينتهم في الخندق وهم الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا هم كتيبة لوحدهم في فتح مكة، حصل لهم هذا الموقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ابتدأ الموقف في غزوة حنين بعد فتح مكة، تلك اللحظات التي كان التاريخ شاهدا فيها لأعظم عفو : اذهبوا فأنتم الطلقاء, فأسلم ما يقارب 10 آلاف شخص بعد هذا الفتح, كلهم حديث عهد بالإسلام,

ثم وقعت غزوة حنين، المرة الأولى التي يكون عدد صفوف المسلمين فيها 10 آلاف غازٍ من بينهم جمع كثير من المسلمين الجدد منهم أبو سفيان رضي الله عنه وعيينة بن حصن والأقرع ابن حابس وغيرهم ممن كان من أكابر قريش وساداتها,

وقعت مكيدة ثقيف في تلك الغزوة غزوة حنين. فانهزم الجيش كله. فما بقي إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جعفر وأبو سفيان بن الحارث رضي الله عنهما:

"قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ.." [أخرجه مسلم، صحيح] فنادى رسول الله بالمهاجرين والأنصار الأوائل ونادى بالذين بايعوه تحت الشجرة بالذات، الجميع كان قد تولى عن ساحة المعركة فلما سمعوا صوت النداء: **"أين أصحاب السمرة؟ من نزلت فيهم سورة البقرة"** وإذا بهم يعودون وينعطفون "كأنها انعطاف البقر على أبنائها" رجعوا وكانت السهام في وجوههم وما ألقوا لها بالا رجعوا والمكيدة بين الجبلين تترصدهم وما ضرهم ذلك. ثلاثمائة من الأنصار والمجاهدين هم من رجع وأغلب هذا العدد كان من الأنصار، وكانت النتيجة أن انتصر الثلاثمائة وعاد المسلمون الجدد على أعقابهم.

فلما لاحت بشائر انتصار الثلاثمائة عاد بقية العشرة آلاف من المسلمين إلى ساحة حنين وانضموا للقتال من جديد.

خفتت أصوات صليل السيوف وضبح العاديات وأصبحت سماء المعركة صافية من نقع غبار المعركة فغنم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة غنائم لم يغنمها من قبل، 24 ألفا من الإبل و40 ألفا من الغنم وأوقيات من الذهب والفضة فهوازن كانت قد خرجت بكل أموالها ونسائها لتقاتل قتال الموت، فأصبحت كل أملاكها غنيمة للمسلمين.

فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام يوزع الغنائم على المقاتلين ثم بقي قسم أخير منها هو لله ولرسوله، يتصرف فيه رسول الله كيف شاء فالنبي أخذ هذه الغنائم ولم يكن بخيلا ولا جبانا، فوزعها

على المؤلفة قلوبهم التي لم ترسخ في الإسلام ولتوها رأت نوره, فأعطى أبا سفيان وبنيه 300 من الإبل وأعطى الأقرع بن حابس 100 من الإبل وأعطى صفوان ابن أمية 100 من الإبل

ودعا عيينة بن حصن وأعطاه 100 إبل, 100 من الإبل كأنما نتحدث عن 500 ألف ريال وأكثر, فالنبي عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

عندما رأى الأنصار ذلك والنبي لم يقسم لهم من الغنائم ولا شاة واحدة. لم يفهم الأنصار ذلك؟ لمَ يعطي رسول الله هؤلاء الذين للتو كنا نقاتلهم في فتح مكة؟ هؤلاء كلهم آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يعطيهم؟

لا يملك الأنصار الاعتراض على رسول الله لكنهم قالوا كلمة "يغفر الله لرسول الله لقي والله قومه فأعطاهم وتركنا"، أرجعوا ذلك إلى أن رسول الله لقي قومه فأحبهم وأعطاهم، يعني قدموا العذر لرسول الله قبل أن يعرفوا لماذا فعل هذا رسول الله وهذا من سلامة صدر الأنصار،

يحكي أبو سعيد الخدري هذا الموقف قائلًا: **" لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ [ص:254] وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ» ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ،**

ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» ، قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟

أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا." [أخرجه أحمد في مسنده، قال الوادعي: حسن]

انتشرت تلك المقولة بين الأنصار فسمع قائد الأنصار سعد بن عبادة المقالة فلم يرض . وذلك لرجاحة عقله رضي الله عنه فلم يشأ أن يبقى في نفوسهم شيء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنه يعلم يقينا بعد رسول الله كل البعد أن يقع منه ظلم لأحد أو أن يظلم الأنصار أو أن لا يعدل بينهم في العطية ,فانطلق سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ,فقال : **إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ،...** <u>" لاحظوا كيف يتعامل النبي في الأزمات مع من يحب "</u>

فقال رســول اللـه - صلى الله عليه وسلم -: **«فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: **«فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ،»"**

هم لوحدهم من دون الناس لاحظوا فعل النبي عليه الصلاة والسلام فلم يرجئ الموقف ساعة ولم يقل أنه غير متفرغ ولعلي أن التفت لأمركم غدا أو أسبوعا قادما فلم يؤخرهم ساعة واحدة

وكان سعد رضي الله عنه واضحا مع النبي لم يقل يا رسول الله إن الأنصار يحبونك ولكنهم لم يفهموا، كلا بل تكلم بكل وضوح حتى تكون المعالجة واضحة, ولم يقل النبي كلاما لسعد ويوصيه بإخبار الأنصار بما قال ولو كان فعله فهو أمر مقبول ولكنه لم يختر تلك الطريقة وإنما أراد أن يكون كلامه مع الذين وجدوا حرجا في قلوبهم مباشرة وأن لا يُسمع عن طريق ناقل لأن أغلب المشكلات في النقل بين طرفي النزاع

"فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ....." " أي هناك كلام سمعته فما هو؟ هذه أول مراحل الإعذار قبل أن تقوم بأخذ أي موقف اسأل لم فعل كذا؟ جاء عن بعض التابعين قولهم: **"التمس لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد عذرا فقل لعل له عذرًا لا أعرفه"** ولم يقولوا تلك سبعون عذرا فإذا لم تجد عذرا فلك أن تظن سوءا،

كل يوم نعيشه في هذه الدنيا ونسمع من مشاكل الناس أو نكون واسطة بين طرفين ونحن نعلم أن الأمور ليست بظواهرها أحيانًا وأن الناس قد يختصمون على أمر مّا و لو كانوا عرفوا حقائق الآخرين لأشفقوا على بعضهم البعض، لكن لأنهم لا يعرفون هذه الحقائق ويغلبون سوء الظن فيكون هذا النزاع ويسعد الشيطان،

فأول مراحل الإعذار أن نأخذ على أنفسنا عهدا فلا نغضب من أحد قط دون أن نسأله لِم فعل ذلك ثم بعد ذلك نتخذ موقفنا، **"«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»**، قَالُوا: **بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ**..." رسول الله يذكرهم يا معشر الأنصار ماذا كنتم قبل الإسلام؟، لم تكونوا سوى قبائل جاهلية تئِدون البنات، اليهود تتحكم بكم وبأموالكم وحتى في قتل أولادكم،

دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت حرب داحس والغبراء حيّان تقاتل فيها الأوس والخزرج ما يقرب من ٤٠ عامًا فجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يؤلف بين قلوبهم إلا بهذا الدين، وكانوا فقراء إلى أن فُتحت خيبر فلما فُتحت فتحت عليهم الأموال، فرسول الله يذكرهم بتلك المواقف،

" قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ" الأنصار في هذه اللحظة شعروا أن كل شيء رخيص أمام هذه المنن

ماذا نقول يا رسول الله وأنت الذي ألف الله به بين قلوبنا، ماذا نقول وأنت الذي أخرجنا الله بك من الظلمات إلى النور وأننا لم نذق طعم الحياة في المدينة التي كانت تعج بالحمى والوباء خرجت كلها ببركة رسول الله ودعا النبي ببرها ورزقها وفي صاعها فهي أرض مباركة إلى يومنا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه،

لننظر لهذا العدل والإنصاف باستطاعة النبي أن يوقف الكلام إلى هنا ويقول أنا رسول الله وأنا من قاتل معكم وأخرج عدوكم كان باستطاعته أن يقول كلاما كثيرا و لم يفعل فمن تمام العدل إعطاء صاحب النزاع أيضًا حقه، **"قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟"**

تلك الكلمات لو قلتموها لصدقتم ولصدقتُم ليس عندي فقط ولكن عند الله وملائكته ((أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ.....)) النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذهم بجريرة الموقف ,لم تكن القضية عند الأنصار قضية الدنيا وأموالها والغنائم، بل كانت قضيتهم أنهم يريدون التأكد من مكانتهم في قلب محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ,هل مازالت كما كانت بعد أن قدم قومه عليه مسلمين ؟

وذلك لعظم حب الأنصار لحبيبهم صلى الله عليه وسلم , **"جئتنا طريدًا فآويناك"** خرج من مكة طريدًا فاستقبله الأنصار على مشارفها بل قضوا ٣ أيام ينتظرونه على أطراف المدينة في شدة حرها لشوقهم , **"وعائلًا فآسيناك"** جاءهم رسول الله وهو لا يملك قطعة من المال فواسوه بأموالهم، **"وخائفًا فأمناك"** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في بيته وسعد بن أبي وقاص وغيره من المهاجرين والأنصار يأتونه فيؤمّنون رسول الله حول بيته خوفا عليه من اليهود ومن غيرهم، ولم يأمرهم بذلك رسول الله لكنهم يفعلونه لحبهم له، **"ومخذولًا فنصرناك"**

مخذولا من كل العالم فلم تكن هناك قبيلة واحدة آوت النبي عليه الصلاة والسلام ونصرته، العالم كله بأكمله لم يرضَ أحد بإيواء رسول الله،

كان النبي يدفع بنفسه في القبائل في الحج: "عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: **«مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»** [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الوادعي: حسن]

فما كان يجيبه أحد إلا هؤلاء الستة ثم هؤلاء الاثني عشر ثم أسلمت المدينة بأكملها، **"فقالوا: لله ورسوله المنة والفضل، فقال: أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألّفتُ بها قومًا ليُسلِموا"**، **يعني** صارت في أنفسكم تساؤلات وصارت في أنفسكم علي لمجرد أن أعطيت لعاعة من الدنيا،

وصف صلى الله عليه وسلم ما يقرب من 600 مليون بأنها لعاعة من الدنيا وإن هذي الـ600 مليون إنها لا شيء في مقام ما سيحدثهم عنه الآن، **"ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام"** **يعني** هؤلاء أنا أعرف قلوبهم لم يرسخ إسلامها ولم ينضج فأعطيتهم شيئا من لُعاعة الدنيا أتألف بها قلوبهم وهي من مصارف الزكاة "المؤلفة قلوبهم"، لأن من الناس من مفتاحه المال عندما تعطيه يسكن قلبه ويعرف أن الدنيا لم تذهب من يده،

هو لم يسلم من أجل المال لا، لكن هناك أناس ضعفاء يثبتهم المال، **"أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رحالكم؟"** **يعني** هؤلاء كل واحد منهم يأخذ معه 100 من الغنم و100 من الإبل لكن أنتم ستأخذونني معكم إلى رحالكم فأنا منكم , أما يرضيكم أن يكون هذا قسمكم؟ **"فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شُعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار!, الناس دثار والأنصار شعار ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار! » قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا بالله رباً وبرسوله قَسَماً"**

لو أن والدة زوجك أيتها المرأة قدمتك على زوجات أبنائها الآخرين فلا تسمح لهم ببدء الأكل دون قدومك فكيف ستكون مشاعرك؟ كيف لو عرفت أن والدتك تفضلك على الآخرين وتعرف ذلك في عينيها وتدرك أن مجلسها لا يحلو دونك كيف تكون مشاعرك مع من تحب وأنت تعلم أنه يبادلك الحب ذاته فيكون حبك له مضاعفا ,هذا بيننا نحن فكيف بالأنصار الذين لا يعدلون بحب رسول الله أحدا يقول النبي: " الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ "...[أخرجه البخاري، صحيح]

معنى شعار: هو اللبس الذي يلتصق بالجسد، والدثار: هو الشيء الخارجي، فيقول لهم أنتم مني بمقربة الشيء الذي يلامس الجسد، **"لو أن الناس سلكوا شِعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار"** لسلكت شعبكم و لدخلت مدخلكم....

ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، يعني حتى الذين لم يولدوا بعد دعا لهم النبي -عليه الصلاة والسلام- في ذلك الموقف فبكى الأنصار حتى اخضلوا لحالهم وقالوا: **رضينا بالله وبالإسلام دينًا وبمحمد رسول الله قسمًا وحظًا**،

كان هذا نوعا من التطمين الذي كانوا بحاجة ماسة إلى سماعه خصوصا بعد فتح مكة وقد طرق أذهانهم الهم ماذا سيفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل سيستقر بمكة بعد فتحها ويتركنا؟

ولما وصل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بيته الذي عاش فيه بيت خديجة وبيت أبي طالب هذه أرض النبي -عليه الصلاة والسلام- فاعتلى الهم الأنصار هل سنرجع للمدينة من دون رسول الله وجلسوا يتشاورون بينهم فلما عرف النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك قال: لا بل الدم الدم سأبقى معكم ولن يفرق بيننا شيء، وهي هجرة إلى الله ورسوله،

فتحَ مكة وعاد إلى بيته وإلى أرضه ومع ذلك لم يجلس فيها إلا أيامًا، ثم عاد النبي -عليه الصلاة والسلام- مع الأنصار إلى المدينة فكأنها هي منزله وهي موطنه وترك مكة موطنه الذي يحب وأرضه التي وُلد بها.

لننظر لمعالجة رسول الله صلى الله عليه وسلم للموقف مع أحبابه حين لم ينسَ لهم مواقفهم ونصرتهم ودفاعهم:

لو شئتم لقلتم فصدقتم وصُدقتم يصدقكم الله يصدقكم رسول الله و يشهد لكم التاريخ , مع كل تلك البطولات التي سطروها والمحفوظة عنهم، ومع ذلك لم يجيبوا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بشيء واحد ولم يردوا على رسول الله بذكر مواقفهم وهذا من فقههم لأنهم يعلمون أن المنة بالهداية وبالدين هي أعظم من منة الدنيا بأجمعها، ولذلك من منة الله عليهم أنه حبب إليهم الإسلام حينما كفر الناس،

أن يُدخِل الله الإيمان في قلوب أُناس لم يروا رسول الله ولم يروا جبينه الأزهر ولا وجهه الأنور وحُرِم من الإيمان أُناس عايشوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منذ أن كان طفلًا إلى أن أصبح رجلًا عمره 40 سنة لم يشهدوا عليه كذبًا ولم يشهدوا عليه موقف سوء

وكان يسمونه الأمين ويجعلون عنده أماناتهم حتى بعد أن نزلت عليه النبوة يعادونه صباحًا ويجعلون أماناتهم عنده مساءً لأنهم يعرفون أخلاقه ومع ذلك حُرِم أبو لهب وأبو جهل وغيرهم من المشركين حُرموا هذا الإيمان وهم عمومة النبي -عليه الصلاة والسلام- وأقرب الناس له واصطفى الله لهذا الدين ونصرته إلى قيام الساعة أناس كانوا في بيوتهم في المدينة لم يروا وجه النبي -عليه الصلاة والسلام- وآمنوا به ودافعوا عنه،

لذلك لما هاجر أغلب المسلمين إلى المدينة ولم يبقَ في مكة إلا النبي -عليه الصلاة والسلام- وأبو بكر كانت الأنصار تتشوق وتتحرق وهم لم يروا وجهه رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

فكانوا يتشوقون إلى نصرة النبي -عليه الصلاة والسلام- وكانوا يتشاورون بينهم في الذهاب إلى مكة وتخليص رسول الله من أذى كفار مكة فرسول الله لم يؤذن له بعد بالهجرة

فهم يعلمون أن المنة والفضل لله ورسوله حين اصطفاهم في حب هذا الدين وفي تحريك هذا الإيمان في قلوبهم حينما حرم منه أقارب النبي -عليه الصلاة والسلام- واختار دارهم لتكون هي الدار لتكون هي الشعاع التي يخرج منه نور النبوة ليملأ الدنيا بأسرها إلى قيام الساعة فتكون المدينة لا مكة هي الموطن الذي نُصر فيه النبي -عليه الصلاة والسلام-

وهي طيبة الطيبة كما سماها النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم الله عز وجل يختارهم هم أيضًا ليكون لهم منه دماؤهم وأسلحتهم وسيوفهم في نصرة هذا الدين ويصطفي الله عز وجل منهم الشهداء،

وعندما تقرؤون السيرة انظروا للأرقام في بدر وفي أحد يموت من المهاجرين 17 يموت من الأنصار 70 يموت من الأنصار 100، 200 ويموت من المهاجرين 5 أو 10 كانت الأرقام مضاعفة في الأنصار، مات أمام النبي -عليه الصلاة والسلام- في أحد وعند أقدامه 7 من خيرة شباب الأنصار كل واحد منهم بعد الآخر ومع ذلك لم يقولوا ولم يمنوا بذلك، ولم يقولوا: حاربنا يا رسول الله الدنيا لأجلك، وهذا من تمام الفقه أنك لا تمن بمالك ولا بخيرك أنا فعلت وفعلت وأعطيت وأنا خير من غيري ،

ولاحظوا الفرق بين موقف الأنصار وبين أناس من بني أسد فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: **«قال أناس من العرب: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم}.**

يعنون أن الناس كلهم قاتلوك ولكنا ما قاتلناك فلنا عليك يد، فأنزل الله هذه الآيات، فليست المنة أن تعمل شيئا للإسلام وإنما المنة أن الله يصطفيك أنت على علاتك وعلى سوئك وعلى عثراتك ومع ذلك يمتن الله عليك بأنك تحب شيئا من هذا أو أن الله يسخرك أنت لفعل شيء من الخير للناس.

هذا الموقف لو بقينا فيه الليلة بطولها الدروس فيه لا تنضب فهو ليس موقفا واحدا، ومن الدروس فيه أيضا أنك لا تترك المشكلة حتى تكبر ولا تتغافل عنها وحاول أن تحلها قبل أن تكون نارًا.

وأيضًا من الدروس كيف حصر رسول الله الأزمة في موطن النزاع نفسه وفي أصحاب المشكلة أنفسهم لا مع غيرهم، ولم ينتظر خطبة الجمعة ثم يتكلم في جمع المهاجرين والأنصار فينتشر الكلام في المدينة ويتساءل الناس ما الذي قيل ولماذا ولمن؟ ومن الذي تكلم، وهذا أساس في تصغير الخلافات فلا تكبر الأطراف الداخلة في الموضوع حاول حلها بينك وبين الشخص مباشرة ودون وسيط.

هل كان هذا موقف النبي -عليه الصلاة والسلام- مع من يحب فقط؟ لا، وإنما هناك مواقف قد لا يكون فيها الحل أن تتخذ موقفا أصلًا أو أن تجعل الموضوع قابلا للنقاش قد تكون هناك مواقف بينك وبين من تحب وموقف بينك وبين قرابتك يكون الأصل فيها أن تتغافل وتعفو وتنسى ولا تأخذ بجريرة فلان ولا تعطي الموقف أكبر من حجمه،

النبي -عليه الصلاة والسلام- حصل له مثل هذا الموقف وقد استشهدنا به كثيرا : **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.** [أخرجه البخاري، صحيح]، **وزاد في بعض الروايات: " قال: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «من يمنعك؟» قال: كن خير آخذ، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس،"** [أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه]،

عائدون من المعركة وكان صلى الله عليه وسلم نائما تحت شجرة قد علق بها سيفه، والجيش منهك متعب بحاجة إلى الخلود للراحة فنام الجميع، فجاء أعرابي فنظر لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه واتجه لسيف رسول الله فاختطفه من على الشجرة،ـولننتبه هنا فموقف رسول الله لم يكن عفوا وصفحا مباشرة على موقف كهذا، بل كان رسول الله حين يعفو يصدر عفوه عن مقدرة، فكيف تصرف رسول الله ليعالج هذا الموقف؟

قام صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف وسقط الأعرابي فوضع النبي عليه الصلاة والسلام السيف على رقبة الأعرابي فأصبح الموقف الآن معاكسا فلما وضع السيف على رقبة الأعرابي سأله قال: (من يمنعك مني)؟ فقال الأعرابي: يا محمد كنت خير آخذ يعني: اعفُ عني فما عفى عنه النبي -عليه الصلاة والسلام- وما قال له انتهى الموضوع، لا فالإسلام لا يربينا على الخنوع ولا على قبول الظلم ولا على المهانة فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام: أنت قدمت محاولا الاغتيال وهذا ليس أمرا عاديا أبدا، والمقصود بهذا الاغتيال سيد البشرية وقائد أمة الإسلام قال: يا محمد كن خير آخذ قال: تشهد بالله؟ فلا أوذيك بشيء إن أسلمت، قال: لا، ولكني أعاهدك على ألا أقاتلك أبدًا وألا أدعوا إلى قتالك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فرفع رسول الله السيف عنه.

فلم يكن مقصد النبي -عليه الصلاة والسلام- إراقة الدماء لكن فيه تسجيل مصالح قد تكون أكبر فعفى عنه النبي -عليه الصلاة والسلام- وخرج هذا الأعرابي إلى قومه يقول: يا قومي جئتكم من عند خير الناس..

قال الله عز وجل: (وأن تعفوا أقرب للتقوى) قال عليه الصلاة والسلام: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»** [أخرجه البخاري، صحيح]،

من الذي يملك نفسه ويتخذ الموقف الصحيح والإجراء الصحيح، من هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه المشاكل أنه يحلم ويترك الغضب، وعندما قال له أحد الصحابة: يا رسول الله أوصني **فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»** [أخرجه البخاري، صحيح]،

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- دائمًا يرشدنا عند لحظة الغضب لا تتخذ قرارا وفي لحظة الغضب حاول ألا تتكلم لأنك ستكون خارج إطار التحكم بنفسك وانفعالاتك، صوتك قد يرتفع وكلامك قد لا تثمنه وقد تكون الغضبة التي غضبتها لم تتصور أبعادها،

النبي -عليه الصلاة والسلام- أرشدنا إلى مجموعة من الإجراءات لتفادي ذلك **عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"** [أخرجه مسلم، صحيح]،

هذه الكلمة الصغيرة عندما نقولها في لحظة غضب كأننا نسكب الماء البارد على أنفسنا، ولا نستهين بهذه الكلمة في لحظة غضب حين نشعر بأن نارا تضطرم بين جنبينا وأن الشيطان قد علا صوته بدواخلنا وجعلنا نغلي غليانا، **فالواجب علينا حينئذ المسارعة لإذهاب هذا الغضب بقولنا (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).**

هذه الكلمة قد لا يقولها الغضبان لأن الشيطان يسول لك أن تفعل أي شيء إلا أن تقول هذه الكلمة ولو ذكرك أحدهم بها في هذه اللحظة فلن ترضى لنفسك أن تقولها لأنك إن تستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم يخنس الشيطان فهو لا يقوى على اسم الله

ولذلك لا تجعل الغضب يتملكك ولا تخسر من تحب في غضبتك، امسك نفسك وحاول أن تؤجل أي تصرف في تلك اللحظة، ليس ضروريا الآن أن تأخذ موقفا تندم عليه فيما بعد كعادتنا حين نغضب **قال الله عز وجل: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم)**،

تعالوا لهذا الموقف مع النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو مع إحدى زوجاته من أمهات المؤمنين ولاحظوا كيف يجمع فيها الحلم والتغافل والعفو:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» [أخرجه البخاري، صحيح]،

هو جالس الآن مع إحدى زوجاته في بيته وإذا بواحدة من زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- الأخريات ترسل بصحفة فيها طعام إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو في بيت الثانية وزوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- يحبوه ويغارون عليه،

فلما رأت هذه المرأة التي هو في بيتها الخادم قادما معه صحفة طعام من أم المؤمنين الثانية فغارت فضربت يد الخادم لماذا أحضرته والنبي في بيتي؟ فسقطت الصحفة وانكسرت وسقط الطعام، الموقف يحصل أمام من؟ أمام النبي -عليه الصلاة والسلام- ويعرف رسول الله حبها له ويعلم أنها ما فعلت ذلك إلا غيرة ولم تتحكم بغضب نفسها فما كان من النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا أن بدأ يجمع بقايا الطعام وأخذ الصحفة المكسورة، والتفت النبي -عليه الصلاة والسلام- إليها والتفت إلى الخادم كأنه يستعذر منه وقال: غارت أمكم ..

هذا الموقف واضح أنه من غيرة ثم أمر الخادم أن يأخذ من بيت هذه صحفة أخرى فيرسلها إلى الأخرى التي كُسرت صحفتها فجعل هذا جزاء لها، لكنه لم يلتفت إليها ولم يقل لها لمَ فعلت ذلك وتفعلين هذا وأنا أمامك، لم يفعل هذا إطلاقًا ولم يجاوز النبي -عليه الصلاة والسلام- كلمة (غارت أمكم)،

فهناك مواضيع أحيانًا ليس مهما أن تأخذ أكبر من حجمها وما أكثر البيوت التي سقطت من مواقف مثل هذه لا يملك الزوج غضبه ولا تملك الزوجة غضبها فيحدث ما لا تحمد عقباه وتقع آثار ذلك على أناس آخرين أو أطفال صغار لا ذنب لهم.

الموقف النبوي حدث وانتهى ولم يخرج خارج إطاره، وبقي الحب في قلب النبي صلى الله عليه وسلم لها ولسائر أزواجه، هذا هو الحلم والعفو عند المقدرة.

جاء أعرابي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- **يحكي ذلك أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»**[أخرجه البخاري، صحيح]،

أنس بن مالك يقول كنت أمشي مع رسول الله وعليه بُرد نجراني غليظ يعني مثل البشت نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا رسول الله تعال يا رسول الله فأخذه فجبذه من هذه الحاشية الغليظة فجاء فأخذ يجره من هذه الحاشية حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته يعني من شدة هذا الشد للحاشية وإذا بصفحة رسول الله احمرّت وصار فيها أثر من هذه الجرّة والأعرابي يقول: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ألست أنت رسول الله وعندك مال كثير يا رسول الله مر لي من مال الله الذي عندك، الصحابة ما كانوا يتحملون مثل هذا الموقف فيرفعون سيوفهم فلم يفجأهم إلا النبي -عليه الصلاة والسلام-

حين نظر إلى هذا الأعرابي الذي لم يحسن طريقة الطلب فضحك النبي -عليه الصلاة والسلام- فالتفت إلى الصحابة وأمر له بعطاء انتهى الموقف، لم يأخذ حيزا أكثر من اللازم لم يقل له الآن سأعلمك أن تتعامل مع من؟

لذلك عندما نقول صفات المؤمنين أنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، أي أذلة على المؤمنين بيننا وبين بعضنا البعض لكن عندما يكون مع غيرهم من الكفار فيظهر الإنسان عزته ويظهر عزة الإسلام.

موقف آخر يمكن أن نتدارسه من مواقف النبي -عليه الصلاة والسلام- في حله لهذه المشكلات, وهذا الموقف يتعلق بسوء الظن وأغلب المشاكل إنما مبدؤها أو في نصفها أو ما قبل اللحظة الأخيرة يدخل فيها سوء الظن، فشيطانك يؤجج المشكلة بسوء الظن فيقول لك: فلان ما فعل كذا إلا أنه يقصد كذا وكذا، سنذكر موقفا من أصعب الموقف التي مرت على المسلمين قبيل فتح مكة، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- في كل مرة يخرج يخبر بما سيفعل و أين يتجه فلما كانت غزوة فتح مكة أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بكتم الأنباء بالتجهز، وأن لا يخرج خبر من المدينة إلى أهل مكة لأنه يريد مباغتتهم،

فعن علي رضي الله عنه قال: **بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي [ص:60] ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"** [أخرجه البخاري، صحيح]،

بحثوا في الرحال فتشوا كل شيء ولم يجدوها وهم يعلمون يقينا أن الوحي ما أخطأ وما كذب رسول الله هو أخبرنا أن نذهب لهذا المكان جئنا فوجدناك هنا فقال لها علي: تخرجين الكتاب أو لنجردنك حتى نأخذ هذا الكتاب فلما رأت عزمهم قالت: تنحيا ثم خرجت ففكت جدائلها فإذا بها تدفع إليهم الكتاب،

فجاء علي بن أبي طالب والزبير بن العوام إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وأعطوه الكتاب فلما فتحه النبي -عليه الصلاة والسلام- وإذا به من حاطب بن أبي بلتعة إلى فلان وفلان من أهل مكة أن رسول الله قد تجهز بالخروج وأنه قد يقصدكم أو غيركم لم يقل سيأتيكم ولكنه تجهز،

هذا الموقف ليس بالسهل هذه خيانة عظمى وكأنه عمل تجسس أو تسريب أخبار وفي العرف المعاصر يُقتل ويُعدم من فعل هذا،

فلما قرأ النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الكتاب من حاطب، وهو ليس منافقا بل من أوائل المهاجرين، حاطب من الذين قاتلوا مع رسول الله في بدر في أحد، حاطب من خيرة المهاجرين، فلما رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا الكتاب قال: ادعوا لي حاطبا، وكان إلى جانبه عمر رضي الله عنه والصحابة قد تحفزوا فلما جاء حاطب قال له النبي -عليه الصلاة والسلام- يا حاطب ما حملك على هذا؟، وهنا تتجلى رحمة سيد البشرية صلى الله عليه وسلم فلو كان غير النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لقال لحاطب : لامجال لك للكلام ولا للتبرير، لحظات يعطيها النبي صلى الله عليه وسلم لحاطب كفرصة أخيرة ليسأله عن سبب فعلته

فيقول حاطب -رضي الله عنه- يقول مهلًا يا رسول الله أما والله إني مؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكن كنت امرءا لصيقًا فيهم، ليس عندي فيهم ظهر ولا سند، وإنه ما من امرئ من المهاجرين لو قدمنا لفتح مكة إلا له أبناء عمومه يدافعون عنه أما أنا فلا، وإني لي في مكة أهل وولد، وقيل كان عنده والدة يخاف عليها فخشي أن يقتلوا أمه أو يقتلوا أولاده فأردت أن يكون لي عندهم يد، وإني والله لأعلم أن الله ناصرك.

كلماته لم تدفع عنه غضبة عمر رضي الله عنه فاستل سيفه وقال يا رسول الله دعني لأضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- مهلًا يا عمر إنه من أهل بدر إنه شهد بدرًا ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فإنه مغفور لكم فبكى عمر لذلك.

هنا تتجلى أخلاق رسول الله ورحمته وحكمته وحسن ظنه بأحبابه حيث لا تغيره المواقف. الموقف: خيانة عظمى، نحن لا نغفر لبعضنا سرا أفشاه من تركناه أمانة عنده فكيف بسر من أسرار الدولة والحرب، سر قد يقلب الموازين ويتسبب بخسارة فادحة في الأنفس والأموال. ومع ذلك يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- لا، إنه شهد بدرًا ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم لاحظوا أن رسول الله سيد الأوفياء لا ينسى تلك المواقف الأولى ولا الله عز وجل ينساها.

هذا هديه -عليه الصلاة والسلام- مع من يحب ومع أولئك الدائرة القريبة منه حينما يحصل بينه وبينهم نوع من أنواع النزاع أو الخلاف.

ألمثل هذا الرسول -عليه الصلاة والسلام- يُستهزأ به، ألمثلِ هذا النبي يُهان، ألمثلِ هذا النبي لا يُغضب له، ألمثل هذا النبي لا يُنصر ولا تتحرك فيك ذرة لنصرته،

هذه الرحمة المهداة للعالمين والنور الذي أرسله الله عز وجل لهذا العالم

كيف لا تتحرك ولا يرجف قلبك من أجله، ومن لم يجد هذا الشيء في قلبه من الحب والشوق والغيرة لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- فليتهم إيمانه وليعلم أن الدين غير قائم على عليك ولا على نصرتك ولا مقاطعتك ولا موقفك أنت، نحن نتشرف بأننا ننتمي إلى هذا الدين يقول الله عز وجل: **(وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) ويقول الله عز وجل: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)**

ما الذي جعلهم يصلون إلى هذه المرحلة أن الله يحبهم وأنهم لا يخافون في سبيل الله لومة لائم الإجابة في الشطر الأخير من الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فهذا فضل الله ومحض فضله أن يصطفيك لنصرة دينه وإلا فالله عز وجل يقول: (إلا تنصروه فقد نصره الله) تعرفون أين نزلت هذه الكلمة؟ تعرفون متى نصره الله .. نصره الله يوم خذله العالم كله.. **(إلا تنصروه فقد نصره الله) (ثاني اثنين إذ هما في الغار)**

كل ملايين الأرض ما كانت تعرف عن هذا الموقف الذي يتحدث عنه الله عز وجل نصره الله ورسول الله في غار معه أبو بكر فقط والعالم كله يبحث يريد رأس النبي -عليه الصلاة والسلام- والعالم كله يتمالأ على النبي -عليه الصلاة والسلام- يريدون هزيمته وهزيمة رسالته ودعوته ويريدون استئصال رأسه فلم ينفعه آلاف ممن اسلموا آنذاك، فيخبر الله عز وجل بكفايته لنبيه وبنصرته له فيقول **(إلا تنصروه فقد نصره الله)** يقول أبو بكر يا رسول الله: **(لو أن أحدهم نظر إلا شراك نعله لرآنا)**

يقول الله عز وجل (إلا تنصروه فقد نصره الله) (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

موقف واحد ما استطاع أبو بكر الذي يفتدي رسول الله بنفسه وماله أن يفعل شيئا، كان معه يشاهد الموقف ولم يكن بينهم وبين أن يكتشفهم المشركون أي شيء سوى نصرة الله تعالى لرسوله

فإن لم ننصره نحن فالله ناصره والله كافيه، لكن نحن فقط نريد أن نبرهن على إيماننا بأننا لا زلنا نحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ونحب هذا الدين ونفدي رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بأنفسنا وأموالنا.

نصرة النبي -عليه الصلاة والسلام- ليست فقط مادية وإنما أيضًا النصرة أن نتأسى بهديه وبسنته.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، اللهم صل على محمد عدد ما ذكره الذاكرون الأبرار وصل على محمد ما تعاقب الليل والنهار وصل على محمد وعلى المهاجرين والأنصار، اللهم صل على رسول الله صاحب الوجه الأنور والحبيب الأزهر اللهم ارزقنا شفاعته وأوردنا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، هذا والله هو المسؤول وهو خير مأمول والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ..

تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها